Al-Itqan Journal of Humanities (Vol. 1 No. 3) June (2026)

العراقية المجلات الاكاديمية العلمية

IRAQI Academic Scientific Journals

Al-Itqan Journal of Humanities
available online at
https://iasj.rdd.edu.iq/journals/journal/view/575
ISSN: 3105-1073 (OnIne)
المجلة معتمدة بالترقيات العلمية حسب كتاب وزارة التعليم العراقية (46404-1410) في 2026/4/27

الإظهار والإضمار في بعض المتشابهات القرآنية

م.د. أمل محمد حسن جاسم الأسدي

كلية الآداب/ جامعة بغداد

Explicity and implicity" at Some Quranic similarities"

Dr. Amal Muhammad Hassan Jasim Al-Asadi
College of Arts / University of Baghdad

الملخص

إن هذا البحث يتناول صورة من صور البلاغة القرآنية التي تعكس إعجاز القرآن الكريم، وتبين جلاله وجماله وقصدية تراكيبه ، فهذا البحث يدرس ظاهرة قد تناولها العلماء قديما، وبينوا أهميتها في التفسير القرآني ألا وهي (الإظهار في مقام الإضمار، أو الإضمار في مقام الإظهار) وهذه الخصيصة تُبرِز أو تبين تعدد وجوه فهم النص ، ولاسيما في سياق الآيات المتشابهة، فتغيّر المبنى يترتب عليه تغيّرفي المعنى، وذلك لحتمية قصدية النص القرآني، لأنه رسالة إلهية ، ودستور للإنسانية، وهذا القصد في التعبير لازم لإيصال المفاهيم بالشكل الذي لا يخفى على من خوطب به على مر العصور، فما خفي منه عنا كان دعوةً للرجوع الى أهل الذكر ، ودعوة الى التأمل بالآي الكريم والتدبر به، والتركيز على بنية النص القرآني بعيداً عن السياقات الخارجية المحيطة بالنص، وهو بذلك يعمل على محورين وهما : (تتبع الإظهار والإضمار في بعض الآيات القرآنية المتشابهة، والإبحار في بنية النص القرآني المعجِز) ، محاولين بذلك استجلاء الفروقات اللغوية والبلاغية التي أنتجها الإظهار والإضمار، وإبراز جمالية التعبير القرآني وتفرده. الكلمات المفتاحية:(إظهار, إضمار, المتشابهات القرآنية, البلاغة القرآنية,خصائص أسلوبية)

Abstract:

This research deals with a picture of Quranic rhetoric that reflects the miraculousness of the Holy Quran, and shows its majesty and beauty and the purpose of its structures. This research examines a phenomenon that scientists have addressed in ancient times and indicated its importance in the Quranic interpretation, that is, " explicity in implicit positions and implicity in explicit positions. This feature reflects or shows the different understandings of the text, especially within the context of similar verses, for changing the structure reults in changing the meaning, becuase the Purpose of the Quranic text is inevitable because it is a divine message and a constitution for humanity. This intention in expression is necessary to convey concepts in the form that is known to those addressed by the Quran throughout ages, for what is hidden in the Quran represents a call to consult the knowledgeable people , and a call to contemplate the holy verses and think of them; and to focus on the structure of the Quranic text away from the external contexts surrounding the text, which is thus working on two axes: (follow the characteristic of manifestation and insinuation in some verses of the Quranic similarities , and sailing in the structure of the miraculous Quranic text), trying to clarify the linguistic and rhetorical differences produced by the explicity and implicity, and highlight the aesthetic and uniqueness of the Quranic expression Key words:Explicity, implicity, quranic similarities, quranicrhetorics, stylistics features..

المقدمـــة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله الطيبين الطاهرين ، وأصحابه الغر المنتجبين وبعد فإن القرآن الكريم حجة الرسول الأعظم (7) وآيته الداحضة يقوم شاهداً برسالته، ناطقاً بنبوته، دليلاً على صدقه وأمانته وهو ملاذ الدين الأعلى يستند الإسلام إليه في عقائده وعباداته وحكمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه وقصصه ومواعظه وعلومه ومعارفه ، وهو عماد لغة العرب ، وتدين له اللغة في بقائها

وسلامتها ، ولذلك اعتنى به العلماء كابراً عن كابر ينهلون منه ويتدبرون في صور إعجازه وجماله وجلاله ، ومن هذه الصور البلاغية التي توقف عندها العلماء أسلوب :(الإظهار في مقام الإضمار ، أو الإضمار في مقام الإظهار) وهي فرصة تطبيقية نتجه فيها لدراسة أسلوب من الأساليب القرآنية التي تناولها العلماء في كتبهم، والتي نرجو أن نكون موفقين فيها من خلال التعريف بهذه الظاهرة وما تخرج إليه من معانٍ ثم نتناول نماذج الدراسة من الآيات القرآنية المباركة، وقد اقتضت طبيعة البحث أن يتكون من مقدمةٍ وتمهيدٍ وثلاثة محاور وخاتمة، ثم قائمة المصادر والمراجع.

التمهيد:

الإظهار لغة : تدور مادة الإظهار لغة حول البيان و البروز و ما قابل الاخفاء و الإضمار ، قال ابن فارس : (الظاء و الهاء و الراء أصل صحيح واحد يدل على قوة بروز ، و من ذلك ظهر الشيء يظهر ظهوراً ، فهو ظاهر ، إذا انكشف و برز))[1] و من ذلك قوله تعالى((:ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ [٢]أي برز و أعلن والإظهار في الاصطلاح : مصطلح مستخدم في فنون عدة منها التجويد إذ يشكل الإظهار أحد أحكام النون الساكنة والتنوين أو الميم الساكنة [٣].كما هو مصطلح بلاغي اعتنى أهل البلاغة به وحّدوه بأنه مصطلح ذوكلمة واحدة في بيان ضده الذي هو الإضمار [٤]، وبالأضداد تعرف الاشياء و كثيراً ما يأتي مركباً من عدة كلمات كقولهم : الإظهار في مقام الإضمار و سيتضح المقصود من ذلك أما الإضمار لغة : فهو الإخفاء ، يقال أضمر الشيء : أخفاه ، و يقال : أضمر في نفسه شيئاً : أي عزم عليه بقلبه ، والضمير : المضمر الذي تخفيه النفس و يصعب الوقوف عليه ، و هو السر ، و داخل الخاطر[٥] أما في الاصطلاح : فهو اسقاط الشيء لفظاً لا معنىً ، قال الكوفي : (الإضمار ما ترك ذكره من اللفظ ، و هو مراد بالنية)[٦]ويرتبط مفهوم الإظهار والإضمار بمفهوم مقتضى الحال ، ومقتضى الظاهر ، إذ إن السياق هو الذي يحدد المناسبة التي تستدعي الخروج عن الظاهر لاشتمال الكلام على سمات وخصائص أسلوبية تناسب المقام ، إذن المقام هو الذي يحدد التعبير من حيث الإضمار والإظهار.وقد اختلف أهل الاختصاص في أصالة الإضمار على الإظهار وبالعكس فبعضهم قال : بأصالة الاضمار على الإظهار و لأصحاب هذا الرأي دليل و هو : إن أول أصول المتكلم أن يخبر نفسه و مخاطبه فيقول : أنا ، وأنت ، وهما ضميران لا ظاهر لهما ، فعلم بذلك أن الضمير أقدم من الظاهر[٧].أما الرأي الثاني فيرى أصالة الظاهر على الضمير ، و دليلهم في ذلك أن الغرض من مجيء الضمير هو الاختصار والإيجاز ، فكيف يكون إذن أصلاً للاسم الظاهر[٨]، كما وأن الإضمار فيه إبهام لا تستقيم معه الفائدة إلا إذا كان هناك مفسر يعود عليه يكشف إبهامه ، ويزيل غموضه ، و هذا لا يكون إلا اسماً ظاهراً[٩] ،و لكن يمكن الجمع بين القولين لأن كلاً منهما قد نظر إلى الجهة التي تعبر عن رأيه و ترك الرؤية الفوقية الجامعة الشاملة و هي : من قال إن الضمير أصلٌ للظاهر نظر إلى ضميري المتكلم و المخاطب ، إذ لا ظاهر لهما يخلفانه ، ومن قال : إن الظاهر أصلٌ للمضمر ، فقد نظر إلى حيث ضمير الغائب ؛ إذ ليس هناك خلاف بين أهل العلم أن ضمير الغائب كناية عن الظاهر و مثال ذلك قوله تعالى: ((إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ))[١٠] فالضمائر في (أعبدوه – له – إليه) كناية عن الاسم الظاهر و هو لفظ الجلالة .و بهذا تكون الصورة واضحة في قضية الأسبقية و الأصالة بين الضمائر و الأسماء الظاهرة.

موطن الدراسة:

و بعد هذا التقديم الذي أحطنا به قضية (الإظهار و الإضمار) ندخل إلى التأمل في الآيات القرآنية المتشابهة التي يقع فيها إضمارٌ في موضع و إظهارٌ في موقع مماثل وهي :-

المحور الأول: ويضم هذه الآيات :

سورة الأعراف الآية ١٠٠ و الآية ١٠١سورة يونس الآية ٧٤

المحور الثاني:

سورة الكهف الآية ٧٩ و الآية ٨١ و الآية ٨٢

المحور الثالث:

سورة المؤمنون الآية ١١٧ .

المحور الأول:

١.سورة الأعراف الآية (١٠٠) : ((أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ أَهْلِهَا أَنْ لَوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ))

٢.سورة الأعراف الآية (١٠١) : ((تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ)).

٣.سورة يونس الآية (٧٤): ((ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ))فنلاحظ إضمار الفاعل في الآية الأولى (نطبع) ؛ وذلك لأن الآية مبنية على ما تقدم من الآيات وهي تنتقل من الإضمار الى الإظهار، ومن الإظهار الى الإضمار، فإخبار الله عز وجل عن نفسه بقوله تعالى : ((أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ)) الأعراف: ٩٧، الى قوله تعالى : ((أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ)) الأعراف: ٩٩، فأظهر ولم يقل: (أفأمنوا مكرنا)، ثم بعده جاء قوله تعالى : ((تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَائِهَا ۚ وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِنْ قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ)) الأعراف: ١٠١فالخطيب الاسكافي قد سوغ هذا الانتقال من الإضمار الى الإظهار تبعاً للسياق المتقدم للآيات الذي بني على الانتقال ما بين الإضمار والإظهار [١١].والواقع أن هذا التسويغ لا يمكن الاكتفاء به والركون إليه إذ إن الإظهار والإضمار كما تقدم مبنيان ومرتبطان بالمقتضى ، فاقتضاء الإظهار في الآية لبيان المظهر وعظمته وقدرته على من ظهر عليه كما في قوله تعالى : ((كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ).وأما الإضمار فلبيان الترفع عن الكافرين والمعتدين لوضاعتهم وإدخال الرعب في قلوبهم من خلال هذا الطبع ، فهم لا يعرفون جهة الطبع فيكون التعبير أقوى وأكثر رعباً في قلوبهم ، كما وان الإضمار يعطي متسعاً وشمولية ، أما متسعاً فمن خلال الفعل (نطبع) ليغطي كل كافرٍ ومعتدٍ عبر العصور ، وأما شمولية فإن الطبع سيصل الى قلب كل واحد ممن اتصف بالكفر والاعتداء ، كما في قوله تعالى في سورة الأعراف١٠٠ ((..... ونطبع على قلوبهم فهم لايسمعون)) وكذلك في قوله تعالى في سورة يونس (٧٤) : ((كذلك نطبع على قلوب المعتدين))(والله أعلم).

. المحور الثاني:

أما الآيات في سورة الكهف المباركة التي تعلقت أنموذجاً بالإظهار والإضمار فهي :

📖 ((أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا)): الكهف٧٩ .

📖 ((فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا)) الكهف٨١.

📖 ((وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ۚ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا)) الكهف: ٨٢.

📖 تناول المفسرون إسناد الإرادة الى ضمير المتكلم أولاً ثم إسنادها الى الضمير (نا) ثانياً ، فإسنادها الى الاسم الظاهر (ربك) ثالثاً ، ومن بينهم الآلوسي الذي نقل جملة من الآراء في هذا الإسناد :-

١-إن اسناد الإرادة أولاً الى ضمير المتكلم وحده (أردت) باعتباره أي الخضر (عليه السلام) الفاعل المباشر للتعييب ، وإسناد الإرادة الى ضمير المتكلم ومعه غيره (نا) ، لأن إهلاك الغلام بمباشرته ، وتبديل الغلام موقوف على قدرة الله تعالى وإرادته لذلك أسندت الإرادة الى الخضر (ع) والله تعالى ، أما إسناد الإرادة الى الله وحده (ربك) في الآية الثالثة لأنه لا مدخليه للخضر (ع) في بلوغ الغلامين.

وقد اعترض على إسناد الإرادة الى الضمير (نا) في (أردنا) في الاجتماع بين إرادة المخلوق وإرادة الله تعالى (الخالق) وذلك لما فيه من ترك الأدب، ورجح الآلوسي عدم الاشتراك بين الخالق والمخلوق ليس لما فيه من ترك الأدب فحسب بل لأنه كالضمير في (فخشينا) ليس فيه اشتراك [١٢].

٢-وقيل في وجه تغاير الأسلوب في إسناد الإرادة ، في الآية الأولى (أردت) (شر) فلا يليق إسناده الى الله سبحانه وتعالى، والاسناد في الآية الثالثة يقابل الاسناد في الآية الأولى وهو (خير) ، فأسند الى الله عز وجل (فأراد ربك).

أما الإسناد في الآية الثانية فهو ممتزج ما بين الخير والشر ، فقتل الغلام ظاهرة للشر ، وابدال الغلام هو فعل الخير لهذا جاء الإسناد الى الضمير (نا) (فأردنا)[١٣].

٣-وقيل إن الإسناد في الآية الأولى (فأردت) والآية الثانية (فأردنا) الى نفسه لكن الخضر (ع) تفنن في التعبير ، فعبر أولاً بضمير المتكلم ، ثم عبر ثانياً بالضمير المشترك تعظيماً وإشارة الى أنه لم يقدم على القتل إلاّ لحكمة عالية ، أما الإبدال (أن يبدلهما) فقد أسند الى الله تعالى استقلالاً به عز وجل ، وهو أمر ليس لأحد قدرة عليه إلاّ الله .

ولعل إسناد الأول الى نفسه تأدباً مع الله جل وعلا ، فنسب الإعابة الى نفسه، وأسند في الآية الثانية الى الضمير (نا) من باب قول خواص الملك أمرنا بكذا ، وإنما يعنون أمر الملك العظيم أما الآية الثالثة فالإسناد فيها الى الاسم الظاهر (فأراد ربك) فهو مراعاة لما تقدم من أن أمر البلوغ خاص بالله سبحانه وتعالى دون غيره.(١٤)

٤-وقيل اختلاف الأسلوب لاختلاف حال العارف بالله ، فالخضر (ع) في بادئ الأمر كان يرى نفسه مؤثراً فأسند الإرادة الى نفسه في الآية الأولى ، ثم تنبه الى أنه لا يستقل بالفعل دون الله تعالى فأسند الى الضمير (نا) في الآية الثانية ، ثم رأى انه لا دخل له في الإرادة والمؤثر والمريد إنما هو الله تعالى لذلك أسند الى الاسم الظاهر (فأراد ربك) في الآية الثالثة ، وهذا مقام الفناء.(١٥)

أما رأي الآلوسي في الإسناد في الآيات الثلاث فهو باعتبار الاعتراض من قبل نبي الله موسى (ع) ، ففي الأولى كان اعتراضه شديداً منكراً على الخضر (ع) التعييب في السفينة: قال تعالى : ((قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَنْ شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ,فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا ۖ قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا)) الكهف: ٧٠ – ٧١ ، لهذا ناسب الخضر (ع) أن يشرح بإسناد إرادة التعييب الى نفسه ، فلم يشرك معه غيره في الإسناد ولم يعظم نفسه كي لا يعطي أهمية لإنكار النبي موسى (ع) وليبين له خلاف ما تصور في عملية الإغراق.

أما الإسناد في الآية الثانية فقد جاء تبعاً لاعتراض النبي موسى (ع) وانكاره المبالغ في قوله تعالى : ((فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا))الكهف: ٧٤ ، فهذا الاعتراض احتاج الى ما يناسبه من إشراك الإسناد ليبين تعظيم نفسه أو اشراك غيره ، وليبين الأمر العظيم الذي توخاه من هذا الصنع ، ويساعد على هذا الفهم قوله (فخشينا) الذي يوافق إسناد الإرادة (فأردنا).وأما الإسناد في الآية الثالثة فهو أيضاً جاء مناسباً لاعتراض النبي موسى (ع) في قوله تعالى : ((فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَاتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا)) الكهف: ٧٧، فاعتراضه كان هيناً ليناً بإزاء ما اعترض عليه سابقاً ، فلم يكن الاعتراض على أصل الفعل بل على عدم اتخاذ الأجر مقابل البناء ، لهذا ناسب أن يلين الخضر (ع) في الخطاب فأسند الإرادة الى الرب سبحانه ، ولم يكتف بذلك بل أضافه الى ضميره (ع) فقال (فأراد ربك) ذلك لتكرير العتاب عليه لما اعترض عليه من الأمور السابقة.(١٦)ويمكن تأمل هذا التغاير في الأسلوب في أن القرآن الكريم يعبر عن صورة المثل الإلهي الذي يمكن لنا الاعتبار من مشاهده وقصصه وهذه الآيات تجسد قصة وقعت بين نبي الله موسى (ع) والخضر (ع) ولا بد للقصة من أدوار ومشاهد وأحداث ، فدور العالم فيهما للخضر (ع) ودور المتعلم فيها كان لنبي الله موسى (ع) وكلاهما أراد أن يتقن مشهده ليعبر عن القانون الإلهي ، وعليه ظهر العبد الصالح بمظهر ، وظهر موسى (ع) بمظهرليكونا درساً للعالم بأسره ، فمن جهة موسى (ع) الذي أخذ دور القائل (أنا الأعلم) فصوب الله رأيه أن لست الأعلم ، ومن جهة العبد الصالح الذي أخذ دور الأعلم وقد زهد بما في أيدي الناس ومضى نحو مكان ناءٍ عن الأنظار، فالنبي موسى (ع) بعد معرفته بأنه ليس الأعلم أقر بعجزه واعترف ، إلاّ أنه صاحب همة سعى وراء العلم والعلماء حتى لو كلفه الأمر أن يمضي أحقاباً يسعى وراءهما.وأما العبد العالم (الخضر) الذي صور لنا الحكمة الإلهية في مدى ارتباطه بالله تعالى وبما أحاط به خُبرا ، فنرى القرآن الكريم قد جعل خطابه متغايراً من حيث الإسناد في الإرادة من نفسه (فأردت) ثم الى المشترك (فأردنا) ثم الإسناد الى الإرادة الإلهية (فأراد ربك) وما ذلك إلاّ ليبين الله عز وعلا مستوى الصلاحيات المخول بها الخضر (ع) ، فقوله (فأردت) أي أردت بقوة الله وإرادته ، وقوله (فأردنا) فهو أيضاً بقوة الله مع بيان انتماء إرادة الخضر (ع) إلى إرادة الله ، وقوله (فأراد ربك) فهو معبر عن مطلق الإرادة الإلهية التي منحها للخضر (ع) ولذلك قال الله تعالى على لسان الخضر : ((...وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا))الكهف : ٨٢ ، فهذه الآية دليل على أنه صنع أمر الله ، وإنما جاء هذا التغاير ليبين التدرج في مستوى استخدام الصلاحيات الممنوحة للخضر (ع) وليبين خلافته في الأرض ، ولا يمكن للخليفة إلاّ أن يمثل إرادة من استخلفه ، والله أعلم.

المحور الثالث:أما الأنموذج الأخير المتعلق بالإظهار والإضمار فهو قوله تعالى في سورة (المؤمنون):

((وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ)) المؤمنون: ١١٧.أي أن يعبد مع الله إلهاً آخر بمعزل عن الله أو إشراكاً معه حيث يتحقق ذلك عند الكافر أو المشرك ، فإن دعوته ترد عليه لأنها دون سلطان وحجة فقوله تعالى : ((لا برهان له به)) اتفق أهل التفسير أنه صفة ملازمة لكل شريك مع الله (١٧) ، وإنما ذكرها الله تعالى استنكاراً على أصحاب هذا الاعتقاد ، فلا يفهم منها وجود إله آخر لهم به برهان ، وأكد على ذلك من خلال تناسب الخطاب بالإفراد (يدع ، له ، به ، حسابه ، ربه ، إنه) ثم يذكر الجمع (لا يفلح الكافرون) ليبين صفة كل فرد اجتمعت فيه خصال الكفر والإشراك وهي عدم الفلاح مطلقاً ، فالإفراد هنا لا يعني الإفراد بالمعنى النحوي وإنما أريد منه المفهوم المنطقي الذي يعبر عن حقيقة الخطاب الذي يصور حال هؤلاء على مر العصور منذ بداية نزول الخطاب الى آخر يوم في هذه الدنيا.

أما استعماله ضمير الشأن في قوله (إنه لا يفلح الكافرون) فله فوائد منها التأكيد على إصرارهم على الكفر والإشراك حتى لا عودة لهم بعد ذلك فلا توبه لهم فهم لا يفلحون (والله أعلم).ومنها أيضاً ضمير الشأن الذي يعبر ويشير الى وحدة خطاب الكافرين فلسانهم واحد , وملتهم واحدة فهم ينسجمون ويتعللون في كل عصر وزمان بوجود البرهان لإشراكهم، ولذلك تناسبت السورة مقابلةً بين ملة المؤمنين وملة الكافرين من حيث الإفلاح المطلق المتحقق في قوله تعالى : ((قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ)) المؤمنون: ١، والخسران المطلق المؤكد للكافرين في قوله تعالى((...إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ)) المؤمنون: ١١٧. فملة الكفر واحدة وأمرهم واحد لهذا عبر عنهم بضمير الشأن (والله أعلم)وفيما يلي جدول يبين الضمائر الواردة في الآيات المدروسة :

الآية	الضمير المستتر	ضمير المخاطب المتصل	ضمير الغائب	الضمير المنفصل	الضمير المتصل
١ – (أولم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون) الأعراف ١٠٠	يهد (هو) نشاء (نحن) نطبع (نحن)		أهلها (الهاء) أصبناهم(هم) بذنوبهم(هم)	فهم لا يسمعون	(الواو) يرثون أصبناهم (النا) لا يسمعون (الواو)
٢ – (تلك القرى نقص عليك من انبائها و لقد جاءتهم رسلهم بالبينات... كذلك يطبع الله على قلوب الكافرين) الأعراف (١٠١)	نقص (نحن)	عليك (الكاف)	أنبائها (الهاء) جاءتهم (هم) رسلهم (هم)		كانوا (الواو) ليؤمنوا (الواو) كذبوا (الواو)
٣ – (ثم بعثنا من بعده رسلاً إلى قومهم فجاؤوهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل كذلك نطبع على قلوب المعتدين) يونس ٧٤	نطبع (نحن)		بعده (الهاء) قومهم (الهاء) به (الهاء) فجاؤوهم (الهاء)		بعثنا (النا) كانوا (الواو) كذبوا (الواو)
٤ –(و من يدع مع الله الهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح الكافرون) المؤمنون ١١٧ .	يدع (هو)		له (الهاء) به (الهاء) حسابه (الهاء) إنه (الهاء)		

الآيات	الضمير المستتر	ضمير المخاطب	ضمير الغائب	الضمير المتصل
٥– (أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها و كان وراءهم	أعيبها (النا) يأخذ (هو)		أعيبها (الهاء) وراءهم (هم)	يعملون (الواو) فأردت (التاء)

ملك يأخذ كل سفينة غصبا) سورة الكهف (٧٩)				
٦ – (فأردنا أن يبدلهما ربها خيراً منه زكاةً و أقرب رحما) الكهف (٨١)			يبدلهما ربهما منه	فأردنا (نا)
٧– (و أما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة و كان تحته كنزاً لهما و كان أبوهما صالحاً فأراد ربك أن يبلغا أشدهما و يستخرجا كنزهما رحمة من ربك و ما فعلته عن أمري ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا) الكهف ٨٢		ربك (الكاف)	تحته لهما أبوهما أشدهما كنزهما فعلته (الهاء) عليه (الهاء)	يبلغا يستخرجا فعلته (التاء) أمري (الياء)

الخاتمـــة :

إن كل باحث يصل الى نتيجة ما , أوينتهي الى حقيقة ما إلاّ الباحث في كتاب الله جلّ وعلا ، فإن الباحث فيه لا يمكنه إلاّ أن يعوم في بحر من الحقائق ولذلك كان للقرآن أهله الذين علمهم الله الغوص فيه لنيل كنوزه ومعارفه ، أما نحن فما زلنا نتعلم السباحة على شواطئه؛ لذا فإن ما نقدمه في هذه الدراسة إنما هي محاولة للتدبر في بلاغة وإعجاز القرآن الكريم ، ويمكن لنا أن نستخلص أهم النتائج التي توصل اليها البحث :

١) إن الإظهار والإضمار محطة توقف فيها الكثير من العلماء من أهل البلاغة والتفسير ، ولكن مع هذا نحتاج الى مزيدٍ من الدراسات التخصصية التي تعنى بهذه الظاهرة الأسلوبية .

٢) إن هذه الظاهرة تقع غالباً في المتشابهات القرآنية ليكون فيها مقارنة بينما هو مظهر وما هو مضمر في النص المتشابه, وتسليط الضوء عليها يكشف عن فروقات سياقية من شأنها تفسير هذه الآيات وفهمها.

٣) معالجة او دراسة النص القرآني تختلف عن دراسة غيره من النصوص فكل تغيير في المبنى يعني تغييراً في المعنى ، فالنص القرآني يختار ويقصد تبعاً لإيصال مفاهيمه بالشكل الذي لا يخفى على من خوطب به على مر العصور وما خفي منه عنا كان دعوة للرجوع الى اهل الذكر.

٤) وجدنا من خلال النصوص التي درسناها جمالية النص القرآني وظواهره الأسلوبية والمعاني التي تخرج اليها هذه الظاهرة (الإظهار والإضمار) مما يحقق أجر التدبر والتأمل في الآيات الكريمة ، ويحقق لذة جمالية مرتبطة بالإعجاز القرآني ، التي يقف عندها المرء متحيراً ومستئنساً في تركيبها في الوقت نفسه ، وأرجو ان أكون موفقة فيما قدمت ومن الله التوفيق.

المصادر :

القرآن الكريم .

١) بغية المريد من أحكام التجويد ، الحزاري مهدي محمد ، سنة النشر : ٢٠١٣ .

٢) درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، الخطيب الاسكافي (ت ٤٢٠هـ) ، تحقيق : د. محمد مصطفى آيدين ، دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ١٩٩٥م .

٣) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ، أبو الفضل الالوسي (ت ١٢٧٠هـ) ، تحقيق : علي عبدالباري عطية دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠١ م .

٤) تفسير السمرقندي,بحر العلوم, نصر بن محمد بن ابراهيم, أبو الليث السمرقندي , (ت٣٧٣هـ), تح , الشيخ محمد عوض, والشيخ عادل أحمد , دز زكريا عبد المجيد , دار اكتب العلمية, بيروت, د.ط , د.ت

٥) تفسير القرطبي ,الجامع لأحكام القرآن ,أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري(ت ٦٧١هـ), تح :أحمد البردوني و إبراهيم اطيفش , دار الكتب المصرية , ط٢ , ١٩٦٤م.

٦) تفسير الكشاف, الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل, أبو القاسم محمود بن عمرو الزمخشري (ت ٥٣٨هـ),دار الكتب العربية ط٣ , د.ت.

٧) التحرير والتنوير, تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد , محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت: ١٣٩٣هـ), الدار التونسية للنشر,:١٩٨٤ هـ

٨) الصاحبي في فقه اللغة ، أبو الحسن أحمد بن فارس ، تحقيق : أحمد حسن سبح ، دار الأعلمي ، بيروت – لبنان ، ط ، ٢٠٠٧ م .

٩) الصفوة في القواعد الاعرابية ، د. عبد الكريم بكار ، دار القلم ، دمشق – سوريا ، ط١ ، ١٩٨٨م .

١٠) القاموس المحيط ، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي (ت٨١٧هـ)، قدم له : الشيخ أبو الوفا نصر المصري – منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٤ م .

١١) الكليات ، معجم في المصطلحات والفروق اللغوية ، لأبي البقاء أيوب بن موسى الكوفي (ت١٩٠٤هـ) ، تحقيق : عدنان درويش ومحمد المصري ، مؤسسة الرسالة ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٩٢م .

١٢) اللباب في علل البناء والإعراب ، لأبي البقاء عبدالله الحسين العكبري (ت٦١٦هـ) ، تحقيق : غازي مختار ، دار الفكر المعاصرد.ط. د.ت

١٣) المحرر الوجيز في تفسير كتاب الله العزيز, ابن عطية أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي(ت٥٤٢هـ) , دار الكتب العلمية , بيروت, ط١, ١٤٢٢هـ.

١٤) معجم البلاغة العربية ، د. بدوي طبانة ، دار العلوم للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٩٨٢م.

١٥) معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسن أحمد بن فارس ، تحقيق : ابراهيم شمس الدين ، منشورات دار الأعلمي، ط١ ، ٢٠١٢م.

١٦) الميزان في تفسير القرآن ، السيد محمد حسين الطباطبائي ، مطبوعات دار الأندلس ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠١٠م .

هوامش البحث

[1]معجم مقاييس اللغة ابن فارس: ٤٧١/٣ (مادة ظهر)

[2]سورة الروم الآية : ٤١

[3]ينظر : بغية المريد من أحكام التجويد, الحزاري مهدي محمد : ١٣٢.

[4]معجم البلاغة العربية ,بدوي طبانة: ٥١١/٢

[5]ينظر : معجم مقاييس اللغة : ٣٧١/٣، و القاموس المحيط , الفيروز آبادي: ٥٥١ (مادة ضمر)

[6]الكليات,أبو البقاء الكوفي : ٣٨٤

[7]ينظر : الصاحبي في فقه اللغة, أحمد بن فارس: ٢٥٥

[8]ينظر : اللباب في علل البناء و الإعراب ,أبو البقاء العكبري: ٤٧٤/١

[9]ينظر : الصفوة من القواعد الإعرابية,د.عبد الكريم بكار : ٩٨

[10]سورة العنكبوت : الآية ١٧

(١١)ينظر : درة التنزيل وغرة التأويل, الخطيب الإسكافي : ١/ ٦٤٤-٦٤٥ , و تفسير السمرقندي,ابو الليث السمرقندي :٥٣٦/١-٥٣٧.

(١٢)ينظر : روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني, الآلوسي: ٦ / ٣٣٧- ٣٣٨ , و التحرير والتنوير,:١٦/ ١٠-١١.

١٣() ينظر :الكشاف , الزمخشري :٧٤١/٢ , و روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : ٦ / ٣٣٨

(١٤)ينظر : المصدر نفسه ، والجزء نفسه ، والصفحة نفسها.

(١٥) ينظر : المحرر الوجيز , ابن عطية :٥٣٦/٣-٥٣٧, و روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: ٦ / ٣٣٨ .

(١٦)ينظر : تفسير القرطبي , شمس الدين القرطبي :٣٣/١١- ٣٤روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: ٦ / ٣٣٩ .

(١٧)ينظر : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون, السمين الحلبي:٨/ ٣٧٥-٣٧٦, و روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني: : ٧ / ٢٧٠ ، و الميزان في تفسير القرآن, الطباطبائي: ١٥ / ٢٦٩ .